**مناهج وطرق البحث في علم نفس النمو**

الهدف الرئيسي من دراسة مناهج وأساليب وطرق البحث في علم نفس النمو هو الإحاطة بالطرق العلمية التي يستند عليها الباحثون في دراسة مظاهر النمو الإنساني في مراحل العمر المختلفة ،بحيث كان البحث في هذا العلم مقتصرا على الملاحظة ووصف مظاهر النمو في مراحل متتابعة ،وللوصول إلى حقائق وقوانين ونظريات راسخة اتسعت المناهج والطرق ،وسنتطرق إلى أهمها :

**ـ المنهج التجريبي :**ويعتبر أدق مناهج البحث في علم نفس النمو ،وذلك لسببين رئيسين :

ـ اقرب المناهج للموضوعية عكس منهج الاستبطان**[[1]](#footnote-2)\*** الذي يتصف بدرجة عالية بالذاتية (على سبيل المثال).

ـ يستطيع فيه الباحث السيطرة على العوامل المختلفة التي تؤثر على الظاهرة السلوكية موضوع الدراسة ،فيغير منها ما يشاء ويثبت منها ما يريد مما يسهل عليه الدراسة وفهم العلاقات بين مختلف المتغيرات و تأثيرها على الظاهرة المدروسة .

وتسير الدراسة وفق هذا المنهج في التسلسل الآتي :

ظاهرة ـ مشكلة ـ هدف ـ فروض ـ تجربة ـ نتائج ـ حقائق ـ قوانين ـ نظرية ، كما يرتكز على تحديد المتغيرات والتي تتمثل في المتغير المستقل والمتغير التابع .

**ـ تحديد ظاهرة :**على الباحث تحديد ظاهرة من ظواهر النمو ،وان يفصلها عن الظواهر الأخرى المتشابكة .

**ـ تحديد مشكلة :**تجميع علامات الاستفهام التي تحيط بالظاهرة على أساس التعرف العلمي الدقيق على المشكلة .

**ـ توضيح هدف :**اكتشاف الأسباب المحتملة للظاهرة وكيفية حدوثها أي لا يتوقف الباحث عند وصف الظاهرة ،وعامة أهداف البحث العلمي التفسير والتنبؤ والضبط .

**ـ فرض فروض :**التفسير المحتمل ـ التكهن أو التخمين ـ الذي يضعه الباحث للظاهرة المراد دراستها ويتم التحقق منها عن طريق التجربة .

**ـ التجربة :**يجري الباحث التجربة بغرض التحقق من صحة الفروض سواء قبولها أو رفضها ،ويعتمد الباحث على العينة والأدوات التي يتم تطبيقها على العينة **.**

أولا يختار الباحث عينة الدراسة ويحددها تحديدا دقيقا ،وفي المنهج التجريبي عادة الباحث يستخدم تصاميم هذا المنهج ( عينة تجريبية وعينة ضابطة ) ،كما يقوم الباحث بعملية مسح للعوامل أو المتغيرات التي يفترض أنها ذات صلة بالمشكلة موضع الدراسة وتقسم هذه المتغيرات إلى :

**ـ** **المتغير المستقل :**وهو المسؤول عن حدوث هذه الظاهرة أو هو المتغير الذي نقيس تأثيره على متغير آخر

**ـ المتغير التابع :**هو الذي يتغير بتغير المتغير المستقل ،أي تنعكس عليه آثار ما يحدث من تغير في المتغير المستقل .

**ـ** **المتغير الوسيط أو الدخيل أو غير التجريبي :**هو المتغير الذي قد يؤثر في المتغير التابع لذلك على الباحث أن يتخلص منه أو من تأثيره بتثبيته أو عزله .

ثم يحدد الاختبارات والمقاييس المقننة والتي تتميز بالموضوعية ،أو إنشاء مقاييس جديدة ،وان يراعي تهيئة الجو النفسي الذي يساعد على إتمام الدراسة التجريبية تحت أفضل الظروف ،وللإشارة انه يوجد عدد كبير من الاختبارات والمقاييس التي تقيس الجوانب المختلفة من الشخصية ،ففي النواحي الفيزيولوجية والجسمية توجد مقاييس الطول والوزن وضغط الدم وقوة ضغط الكف وإفرازات الغدد ....وفي النواحي العقلية هماك اختبارات الذكاء اللفظية والعملية واختبارات التحصيل ومن أمثلة الاختبارات الشائعة اختبار ستانفورد ـ بينيه ـ....وفي النواحي الاجتماعية اختبارات العلاقات الاجتماعية ومقاييس الاتجاهات والقيم ......

ونتائج التجربة عادة ما تثبت الفروض أو تنفيها .

ـ **تحليل ومناقشة البيانات إحصائيا :**على الباحث أن يتوخى الدقة العلمية في تحليل البيانات التي يحصل عليها إحصائيا ،بحيث يقوم بتصنيفها وتبويبها باستخدام الأساليب الإحصائية التي من بينها المتوسطات الحسابية ،الانحرافات المعيارية ،معاملات الارتباط ....ثم يقوم الباحث بمناقشة النتائج المتوصل إليها في ضوء الفروض وبناءا على الإطار النظري .

وهكذا يصل الباحث إلى حقائق علمية تسهل صياغة قوانين علمية حول الظاهرة المدروسة ،وعلى أساس الحقائق والقوانين يستطيع الباحث وضع نظرية علمية حول الظاهرة ويشترط في ذلك الإيجاز والشمول ومن أهم النظريات المعروفة في علم نفس النمو نظرية التحليل النفسي ونظرية النمو النفسي الاجتماعي ....

**ـ المنهج الوصفي :** يعد من أبرز المناهج استخداما في العلوم الاجتماعية والنفسية،الذي يهدف إلى البحث في الأوصاف الدقيقة للظاهرة المراد دراستها وذلك من خلال جمع الحقائق والبيانات الكمية أو الكيفية المحددة مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا ،وذلك بعد تبويبها وتصنيفها ،بالإضافة إلى استخدام أساليب القياس والتصنيف والتفسير بهدف استخراج الاستنتاجات ذات الدلالة ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة المدروسة .

ومن أهم طرق وأساليب المنهج الوصفي المستخدمة في علم نفس النمو ما يلي :

**ـ الطريقة الطولية (التتبعية ):** تعتبر الطريقة الطولية التتبعية من أقدم وابسط الطرق المستخدمة في ملاحظة وتسجيل ظاهرة النمو النفسي عند الإنسان ،وهي تعتمد على ملاحظة التغير الذي يحدث في سلوك طفل واحد أو مجموعة من الأطفال خلال مراحل نموهم شهر بعد شهر وسنة بعد سنة ،**أي** تتبع الظاهرة على أفراد في نفس العمر خلال فترة زمنية يحددها الباحث وقد تصل إلى أكثر من عشرة سنوات.

وقد بدأت الدراسة التتبعية لحياة الأطفال كتراجم يكتبها العلماء عن سير أطفالهم ،بحيث في سنة 1774 نشر بستالوزي[[2]](#footnote-3)\* مذكراته التي كان يكتبها عن حياة طفله البالغ من العمر ثلاث سنوات ونصف ،وهي أول ما نشر في العالم عن حياة الأطفال .

وفي سنة 1827 نشر فروبل[[3]](#footnote-4)\*\* الذي يعتبر أول مؤسس لرياض الأطفال في العالم كتابه المشهور تربية الإنسان الذي ألفه بناءا على ملاحظة ورصد سلوك الأطفال في البيت والمدرسة معا ،كما اهتم بهذه الطريقة أيضا علماء في ميدان الاكتشافات الحديثة لعلم نفس المعاصر مثل دراسة بينيه على ابنتيه ،وقد نشر نتائج هذه الدراسات سنة 1895 والتي تمحورت حول النمو العقلي ،وهذا أدى إلى اكتشاف أول مقياس علمي للذكاء، كما يعد جيزل من رواد مستخدمي هذه الطريقة إذ وجدها انسب الطرق خصوصا في مرحلة الطفولة حيث يصعب إجراء الاختبارات وتطبيقها في هذه المرحلة ،،إلا انه أشهر الدراسات التتبعية الطولية دراسة لويس تيرمان التي بدأها عام 1920 ـ 1921 حيث تتبع النمو العقلي لجماعة من الأطفال المتفوقين حوالي ثلاثين سنة ليدرس أساليب نمو الأطفال الأذكياء والتطورات التي تطرأ على حياتهم .

ومن مزايا هذه الطريقة :

ـ تمكن الباحث من معرفة تطور كل فرد خلال فترة زمنية معينة وفي أعمار مختلفة .

ـ أنها طريقة مثالية من الناحية المنهجية كونها تدرس نمو الأفراد ذاتهم مع دراسة تأثير البيئة على السلوك والشخصية .

ـ دقة المعلومات كونها تدرس مجموعة واحدة وهي تنمو وتتطور.

أما عيوبها فتتمثل في :

ـ تستغرق فترة طويلة نسبيا مما تبعث في الباحث الملل ،كما أن بعض أفراد العينة لا يكون بإمكانهم البقاء تحت التجربة وملاحظة سلوكاتهم لفترة طويلة .

ـ تستهلك الكثير من المال والجهد والوقت .

**الطريقة المستعرضة :**تهدف هذه الطريقة إلى تتبع التغيرات الجسمية والوظائف النفسية لمجموعات من الأفراد ،وكل مجموعة تمثل سن معينة وهذا بعد أن يحدد الباحث الظاهرة المراد دراستها والفترة الزمنية التي يريد تتبعها ،فمثلا يريد تتبع النمو الحركي من السن الثالثة إلى العاشرة فهنا يأتي بسبع مجموعات وكل مجموعة تمثل سن معينة ،فالمجموعة الأولى تمثل سن ثلاث سنوات ،والمجموعة الثانية تمثل سن أربع سنوات ،والمجموعة الثالثة تمثل سن الخمس سنوات وهكذا حتى السن العاشرة ،وبذلك تستهلك من الوقت سنة واحدة ،مقارنة بالطريقة الطولية فإنها تستهلك ثماني سنوات .

ومن أشهر الدراسات في هذه الطريقة دراسة العالم السويسري بياجيه سنة 1973 في دراسة اللغة عند الأطفال في أعمار زمنية مختلفة .

ومن مزايا هذه الطريقة :

ـ الاقتصاد في التكلفة والوقت والجهد .

ـ النتائج السريعة .

أما عيوبها فتتمثل في :

ـ نتائجها اقل دقة من الطريقة الطولية .

ـ عدم توفر العينة المتطابقة أي الاختبارات تطبق على عينات مختلفة مما يؤدي إلى نسبية النتائج .

ـ لا يمكن تثبيت كل العوامل التي تؤثر في سلوك فئات العمر المختلفة **.**

1. \* تعريف منهج الاستبطان : منهج ينفرد به علم النفس عن غيره من العلوم بل هو اقدم منهج من مناهجه ،ويعرف بأنه ملاحظة الفرد لنفسه وتأمله لذاته ليخبرنا عما يدور بداخله من أفكار ومشاعر وأحاسيس ويطلق على هذا المنهج مسميات عديدة منها التأمل الباطني أو التأمل الذاتي أو المنهج الذاتي أو الملاحظة الداخلية أو الملاحظة الذاتية وكلها مسميات عديدة لمعنى واحد فالفرد في الاستبطان يلاحظ نفسه ويتأمل ما يجرى بداخله ، ومن سلبيات المنهج الاستبطاني:

   ـ انه يقوم على الملاحظة الذاتية فلا يصلح أساسا إلى الدراسة العلمية .

   - لا يصلح هذا المنهج للأطفال الصغار أو بعض فئات من ذوى الحاجات الخاصة ( التخلف العقلي مثلا أو ذوي صعوبات في التكلم(البكم) لانتـفاء القدرة على التعبير لفظيا).

   - انقسام الفرد إلى ملاحظ وملاحظ قد يصرف انتباهه عما يلاحظ داخل نفسه، أو يضعف تعبير المشاعر عن الموقف المرتب بها.

   - قد لا يكون الفرد صادقاً في التعبير عما يشعر به حقيقة بقصد عدم قدرته على مواجهة ذاته، أو بغرض تزييف الاستجابة.

   إيجابيات منهج الاستبطان:

   - إنه من أقدم الطرق التي استخدمت في البحوث، كما اعتمدت عليه الكثير من النظريات والآراء.

   - قامت الكثير من الاختبارات النفسية على أساس هذا المنهج خاصة في دراسة الشخصية وقياس خصائصها وسماتها.

   - يعتبر المنهج الوحيد لدراسة بعض الظواهر، مثل دراسة الأحلام مثلاً، فضلاً عن هذا، فإن الإجابة على غالبية الاستخبارات التي تقيس الشخصية تعتمد على استبطان الفرد لذاته، كذلك المقابلة التي تعتمد على ما يقرره الفرد عن ذاته. [↑](#footnote-ref-2)
2. \* يوهان هينريك بستالوتزي J.H.Pestalozzi مربي ومصلح تربوي سويسري ، تأثر بأفكار المربين الذين سبقوه كأفلاطون وروسو وبآراء فلاسفة عصره، وخاصة لوك، واتجاهات بعض أساتذته، وألح على التربية من أجل إصلاح المجتمع، معتقداً أنه بإصلاح تربية الفرد يتغير المجتمع ويتطور، ألح على أن قدرات الطفل تتسم بنزعتها التلقائية للنمو. فالتربية عنده عملية نمو وتفتح طبيعي من الداخل، ويجب أن تكون  
   شاملة متكاملة، تهتم بالجوانب الجسمية والعقلية والخلقية معاً، وإن كان الجانب الأخير منها هو الأهم لأنه الغاية القصوى، ذلك أنه يساعد في تنمية شخصية متكاملة ترضي خالقها وأبناء جلدتها،اشتهر بستالوتزي بتأسيسه رياض الأطفال، ووضع مناهجها ..... [↑](#footnote-ref-3)
3. \*\* مفكر تربوي الألماني اسمه فريدريك ويلهلم أوغست فروبل ،ولد عام 1782 في مقاطعة بروسيا وتوفي عام 1852م،تأثر فروبل ببستالوزي وأفكاره ،وكان يرى أن العمل التربوي هـو قيادة الطـفـل وتوجيـهه نـحـو التطور الكامل الذي يشمل عقله ووجدانه وروحـه وذلك بـواسطـة النشـاط الـذاتـي الذي ينـبع من الدوافع والـرغبات والـميول الداخلية لـلطفل، لـذلك فقد كان يـلح عـلـى ضـرورة تكامل الجوانب الـثلاثة كهدف للتربية. ​ [↑](#footnote-ref-4)